رزقاً اليه فيكون الله تعالى اخل بالواجب وذلك محال فعلمنا ان الحرام قد يكون رزقاً ويعلم تعالى مستقرها قال ابن عباس هو المكان الذي تأوي اليه وتستقر فيه ليلا ونهارا ومستودعها هو الذي تدفن فيه اذا ماتت وقال عبد الله بن مسعود المستقر ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقال عطا المستقر ارحام الامهات والمستودع اصلاب الاباء وقيل الجنة او النار والمستودع القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقرا وساءت مستقرا ومقاما ولا مانع ان يفسر ذلك بهذا كله كل اي كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب اي ذكرها مثبت في اللوح المحفوظ مبين اي بين كما قال تعالى ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ولما اثبت تعالى بالدليل المتقدم كونه عالما بالمعلومات اثبت تعالى كونه قادرا على كل المقدورات بقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي من ايام الدنيا اولها الاحد واخرها الجمعة وتقدم الكلام على تفسير ذلك في سورة الاعراف وكان عرشه على الماء قال كعب خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم ومعنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الارض وليس ذلك على سبيل كون احدهما ملتصقا بالاخر وقال ضمرة ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فقال اكتب فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ثم ان ذلك الكتاب سبح الله تعالى ومجده الف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه ففي هذا دلالة على كمال قدرته تعالى لان العرش مع كونه اعظم من السموات والارض كان على الماء وقد امسكه الله تعالى من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه وقوله تعالى ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقها وما فيها منافع لكم ومصالح ليختبركم وهو اعلم بكم منكم احسن عملا اي اطوع لله واورع عن محارم الله وهذا لقيام الحجة عليهم وقدم امثال ذلك ولما بين تعالى انه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وهذا يوجب القطع بحصول الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسيء بالعقاب وذلك لا يتم الا مع الاعتراف بالمعاد والقيامة خاطب تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك انكم مبعوثون من بعد الموت اي للحساب والجزاء ليقولن الذين كفروا ان اي ما هذا اي القرآن او البعث او الذي تقوله الا سحر مبين اي بين وقرا حمزة والكسائي بفتح السين والف بعدها وكسر الحاء فيكون ذلك اشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ولما حكى تعالى عن الكفار انهم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى عنهم نوعا اخر بقوله تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة اي جماعة من الاوقات معدودة اي قليلة ليقولن اي استهزاء

ما يحبسه

ما يحبسه اي ما يمنعه من الوقوع قال الله تعالى الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا اي مدفوعا العذاب عنهم وحاق اي نزل بهم من العذاب بهم ما كانوا به يستهزءون اي الذي كانوا يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء فان قيل لم قال وحاق على لفظ الماضي مع ان ذلك لم يقع اجيب بانه وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التاكيد والتقرير والتهديد ولما ذكر تعالى ان عذاب الكفار وان تاخر الا انه لا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب بقوله تعالى ولئن اذقنا الانسان اي الكافر منا رحمة اي نعمة كغنى وصحة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها اي سلبنا تلك النعمة منه انه ليئوس اي قنوط من رحمة الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به كفور اي جحود لنعمنا عليه واما المسلم الذي يعتقد ان تلك النعمة من جود الله تعالى وفضله واحسانه فانه لا يحصل له اليأس بل يقول لعله تعالى يردها علي بعد ذلك احسن واكمل وافضل مما كانت ولئن اذقناه اي الكافر نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين وهما اذقناه ومسته من حيث الاسناد اليه تعالى في الاول والى الضراء في الثاني نكتة عظيمة وهي ان النعمة صادرة من الله تعالى تفضلا منه لخبر ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا والضرر صادر من العبد كسبا لانه السبب فيه باجلابه اياه بالمعاصي غالبا لقوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافي ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا اغراض الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام لخبر ما من مسلم يصيبه نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر ليقولن اي الذي اصابه الغنى والصحة ذهب السيئات اي المصائب التي اصابتني عني ولم يتوقع زوالها ولا يشكر عليها انه لفرح اي فرح بطر فخور على الناس بما اذاقه الله تعالى من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر فبين سبحانه وتعالى في هذه الاية ان احوال الدنيا غير باقية بل هي ابدا في التغير والزوال والتحول والانتقال فان الانسان اما ان يتحول من النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الافات كالقسم الاول واما ان يكون بالعكس وهو ان ينتقل من المحبوب الى المكروه كالقسم الثاني ولما بين تعالى ان الكافر عند الابتلاء لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالنعمة لا يكون من الشاكرين بين حال المتقين بقوله تعالى الا اي لكن الذين صبروا على الضراء وعملوا الصالحات اي في النعماء اي فانهم اذا اصابتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا اولئك لهم مغفرة واجر كبير جمع لهم تعالى بين هذين المطلوبين احدهما زوال العقاب والخلاص منه وهو المراد من قوله تعالى لهم مغفرة والثاني الفوز بالثواب ودخول الجنة وهو المراد من قوله تعالى واجر كبير فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى اليك فلا تبلغهم لتهاونهم به فانهم كانوا يستهزءون بالقرآن ويضحكون منه وقرا حمزة والكسائي

Copyright © King Saud University